

الباب الرابع عشر

دور اللغة العربية في التربية القومية

علاقة التربية بالمجتمع :

تنهض التربية بوظيفة أساسية في تطوير المجتمع ، ورسم مستقبله ، وتزويده بالطاقة الحيوية ، ممثلة في شباب مفكر مستنير ، يحسن استغلال الموارد الاقتصادية ، وهبئة الفرص أمام النشاط البشري للبناء والتعمير والإنتاج ، فالربية - إذن - عملية اجتماعية ، وهي لا تعمل في فراغ ، وإنما تتصل أوثق الاتصال بالمجتمع الذي تخدمه ، ومن هنا كان الارتباط وثيقاً بين التربية والقومية .

وتخفق العمليات التربوية ، وتصبح جهوداً مبددة مضیعة ، إذا لم ترتبط أهدافها وغاياتها بأهداف المجتمع وغاياته ، كما أن التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي تطرأ على المجتمع ، فتغير من أهدافه ، وتعديل من سياسته ، تقتضى حتماً تطورات مماثلة في سياسته التربوية ، وخططه الدراسية ، وإلا وقفت التربية جامدة ميتة ، لا يستجاب لها ، ولا يؤمن بها في ذلك المجتمع المتطور .

مجتمعنا الجديد ومعالمه :

مجتمعنا العربي يعيش الآن فترة من حياته ، حافلة بالنشاط والحركة ، متسمة بالتغير والتطور ، يشعر فيها كل عربي أنه يستقبل عهداً جديداً ، شخصت معالمه ، وتميزت سماته ، واتضح لكل فرد واجبه الجديد ، في هذا المجتمع الجديد .

ووظيفة التربية - إذن - هي تبصير المواطن العربي بمجتمعه وأهدافه ، وأوضاعه السياسية والاقتصادية ، في هذا المعترك الدولي ، الذي تصطرع فيه القوى ، وتثور فيه النزاع البشرية الجاحمة ، وإذن فالسياسة التربوية ، التي تلائم حياتنا الراهنة ، هي التي تشتق أهدافها من أهداف مجتمعنا العربي ، الذي نسعى لدفعه وتعزيزه ، وقد رسم ولاية الأمور هذه الأهداف واضحة جليلة .

فى الميدان السياسى تقوم سياستنا على نصر الحرية ، والدعوة إلى السلام ، وإيثار الحياذ الإيجابى ، ومسالمة من يسالنا ومعاودة من يعاديننا .

وفى التخطيط الاجتماعى والاقتصادى قضينا على الإقطاع ، وآمنا بالحرية والمساواة ، وبالنظم الديمقراطية الاشتراكية التعاونية ، تلك هى المعالم البارزة فى مجتمعنا الحديث ، ومن المسلم به أن كل مادة دراسية تستطيع القيام برسالتها فى التربية القومية ، وتهيئة الناشئين للتفاعل والاتساق مع هذا المجتمع الجديد .

ولكن مما لاشك فيه أن دور اللغة العربية فى هذه التربية القومية أعظم وأضخم ، وذلك للأسباب الآتية :

١ - أنها أعظم مقومات القومية العربية، التى دعونا إليها، وهفتنا بها على مسمع الزمن، ومن هنا يملك مدرس اللغة العربية أن ينفذ إلى القلوب ، وأن يجمعها على هذا الرباط الحيرى المقدس .

٢ - أنها الرعاء الذى حفظ تراثنا القديم الخالد ، ونحن فى وثبتنا الحاضرة محتاجون إلى أن نرود أبناءنا وناشئينا من هذا التراث الحافل بالمجد والبطولة .

٣ - أن اللغة أداة التفكير والتعبير ، ولا تستغنى التربية القومية ، التى تتطلبها حياتنا الحاضرة عن تلك الأداة اللغوية ، التى تشرح أهدافنا وحاجاتنا ، وأوضاعنا فى الميادين المختلفة .

٤ - التربية القومية تحتاج فى كثير من الحالات إلى تعبئة القوى ، وإيقاظ العواطف ، وتنبية القلوب ، واللغة - بما تملك من التعبير المؤثر ، والتصوير البارع المثير - تستطيع أن تحقق هذه الغايات ؛ فى الشعر والخطب والمقالات ، والقصص والأناشيد ، صبيحات تهز القلوب ، وتثير الشعور والوجدان .

كيف نهض اللغة بلورها القوى فى مجال التدريس :

يقضى التنظيم التربوى بوضع خطة للدراسة فى كل مرحلة من مراحل التعليم ، تراعى فيها الأهداف القومية العامة ، وأهداف هذه المرحلة وحاجتها بوجه خاص ، ووضع مناهج تسير هذه الخطة ، وتحديد أنواع الخبرات والموضوعات ، التى تحقق الأهداف المرسومة ، وتألّف كتب مدرسية تسير المناهج ، وتساعد المدرس والتلميذ على فهم هذه المناهج ،

وتقضى - كذلك - بأن تتجه طرق التدريس ، وجهود المعلم إلى تحقيق هذه الغايات جميعها .

أما خطط الدراسة للغة العربية في جميع المراحل التعليمية ، وكذلك مناهجها وكتبها فقد تكفلت بها هيئات فنية خاصة بالتخطيط والتشريع ، وكان رائدها في عملها خدمة الجانب القومي ، وتوجيه التعليم اللغوي إلى أن يعبر الطالب بلغته العربية ، وأن يفهم الوطن العربي ، ومقومات وحدته ، وأن يتشبع بالمبادئ الاجتماعية والروحية ، التي تقوم عليها حياة المجتمع العربي الخالد ، وأن يلم بمشكلات هذا المجتمع . . . إلى غير ذلك من الأهداف التي رسمتها السياسة التعليمية .

ولم يبق - إذن - إلا الجانب التطبيقي ، وهو طريقة التدريس وإذن يتول الأمر إلى أن يكون السؤال : ما دور مدرس اللغة العربية في التربية القومية ؟

وأبرز عنصر في الإجابة عن هذا السؤال هو أن هذا الدور دور خطير عظيم :

١ - في موضوعات التعبير التي يختارها المدرس مجال لهذه التربية القومية ؛ إذ يستطيع المدرس أن يشق بعض الموضوعات من الأحداث الجارية ، أو من التطورات العالمية التي تمس حياتنا ، وتفكير التلاميذ في مثل هذه الموضوعات تفكيراً منظماً صحيحاً ، بإرشاد المعلم ، يزيدهم بصراً ومعرفة بالنواحي القومية .

٢ - وفي مكتبة المدرسة عشرات من الكتب التي تعالج مشكلاتنا في مختلف النواحي ، وتشجيع التلاميذ على قراءتها يساعد على تحقيق الأهداف التربوية ، ومثلها القصص التاريخية والوطنية .

٣ - وفي الأدب طوائف كثيرة من النصوص الرائعة ، تملأ النفس بالصور والمعاني التي تطبع التلاميذ على العزة والإباء والتضحية من أجل الوطن ، واختيار شيء من هذه النصوص يساعد المدرس في هذا الواجب القومي .

٤ - وألوان النشاط اللغوي ، كالإذاعة والصحافة والتمثيل ، وسائل ناجحة في التربية القومية .

ولا يفوتنا التنبيه على أننا لا نقصد مطلقاً بدعرتنا إلى خدمة التربية القومية ، في دروس اللغة العربية ، أن نقصر مادة الدراسة على هذا اللون ، أو نحصر تفكير التلاميذ في مثل هذا المجال الضيق المحدود ، أو أن نضرب حول المادة القومية بسور حصين ، لا يتجاوز

تفكير التلاميذ ، إننا - إذن - نجسهم في مجال من الثقافة مكرر مملول ، ونضطرهم إلى نوع من العزلة الفكرية ، ونقطع ما بينهم وبين الآفاق الحيوية ، التي تزخر بالمعرفة والثقافة الحية المتجددة .

نقصد بهذا التنبيه أن نحدد من غلواء بعض المدرسين المتطرفين ، الذين يبالغون في فهم التوجيهات ؛ فيسيثون إلى أنفسهم ، وإلى طلابهم ، وإذا اختبرنا هؤلاء الطلاب رأيانهم نسخاً مكررة متشابهة ، في ضيق الأفق ، وتحجر المعارف ، واضطراب التفكير .